Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حصارًا غير مسبوق تقريبًا ، لكن المسلمين قد صمدوا له لأنهم كانوا أصحاب رسالة إلهية سامية ، ولهم هدف محدد وغاية معروفة ، ولذلك فقد خرجوا منه منتصرين ، حتى لكأن شعب أبي طالب قد صار هو القاعدة التي انطلق منها الإسلام قويًا لينتشر نوره في العالمين، ويغمر بسماحته أهل الأرض أجمعين .

وبنفس الطريقة المغرضة يزعم رودينسون أن المسلمين الأوائل ، الذين أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى الحبشة للهروب من اضطهاد قريش ، كانوا يمثلون خطرًا على محمد نفسه، ولذلك فإنه تخلص منهم عندما وجههم إلى هذه البلاد ، مستشهدًا على ذلك بالميول الدينية الحنيفية لعثمان بن مظعون من بني جمح ، الذي هاجر هو وابنه السائب ، وأخواه قدامة وعبد الله ابنا مظعون إلى الحبشة[1]. ويزعم رودينسون أنه نظرًا لتمسك عثمان بن مظعون بالوحدانية خشي محمد على نفسه منه إذا بقي في مكة أن يجمع الناس حوله ويصرفهم عنه (ص١١٤) . لو راجع هذا الكاتب فكرته ، وتأنى في إصدار تلك الأحكام التعسفية ، والاستنتاجات الوهمية ، لعلم أن المهاجرين إلى الحبشة كبقية الصحابة كانوا يحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب كله ، ويطيعون أمره ويعتقدون في صدق رسالته لا يرتابون في ذلك نقيرًا ولا قطميرًا ، وأنه لو كان الأمر كما ظن هذا المخرص لتمسك عثمان بن مظعون على العكس بالبقاء في مكة لنشر أفكاره وتجميع الناس من حوله، ولكن شيئًا من ذلك لم يحدث قط ، لا قبل الهجرة إلى الحبشة ، ولا بعدها .

بل إن ابن هشام ليروي إنه لما رأى عثمان بن مظعون ، بعد أن رجع من الحبشة ودخل مكة في حماية الوليد بن المغيرة ، ما فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاء ، وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد بن المغيرة ، قال :«والله إن غدوي ورواحي آمنًا بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني ، لنقص كبير في نفسي . فمشى إلى الوليد بن المغيرة ، فقال له .... وفيت ذمتك ، قد رددت إليك جوارك ، .... ولكني أرضى بجوار الله ، ولا أريد أن استجير بغيره» . وأورد ابن هشام كذلك أن عثمان بن مظعون سمع لبيد ابن ربيعة ينشد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

(١) سيرة ابن هشام، ج١ ص٢٨٠ - ٢٨٤ ، ابن الجوزي. صفة الصفوة، ج١ ص١٤١ - ١٤٣، ابن حجر. الإصابة، ج٢، ص٢٤٩. وحول شعب أبي طالب، انظر سيرة ابن هشام، ج١، ص١١١ .